الدرس السادس عشر

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[فصلٌ: في أحكام الزيارة وآدابها]

وتسن زيارة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم قبل الحج أو بعده؛ لما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام».

وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام» رواه مسلم.

وعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة في مسجدي هذا»، أخرجه أحمد وابن خزيمة وابن حبان. وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال. «صلاة في مسجدي

هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه».

أخرجه أحمد وابن ماجة. والأحاديث في هذا المعنى كثيرة].

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه، اللهم علّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علّمتنا، وزدنا علمًا، وأصلح لنا إلهنا شأننا كله، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، أما بعد:

لما أنهى المصنف رحمه الله تعالى ما يتعلق بالحج من أحكامٍ وشروطٍ وآداب، انتقل إلى بيان أحكام زيارة مسجد النبي الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه، وزيارة المسجد النبوي هذه من السنن العظيمة، التي يترتب عليها فضلٌ عظيم، وثوابٌ جزيل، ولهذا ينبغي لمن أراد إتيان المدينة، أن يجعل قصده بمجيئه إلى المدينة، زيارة مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام؛ لأن النبي صلى الله عليه

وسلم صح عنه في الحديث، أنه قال: «لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»، ولهذا يُسَنَّ للزائر أن يقصد بالزيارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن ينوي بها ذلك، حتى يدخل في تحقيق هذا الحديث: «لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد»، فيكون حقق هذا الحديث، بأن شد رحله من أجل زيارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم إن هذه الزيارة لمسجده عليه الصلاة والسلام، هي تُعد عملًا منفصلًا، لا علاقة له بالحج، يعني ليس من أعمال الحج، ولهذا لو أن أحدًا ورجع دون الزيارة، أو جاء أيضًا لزيارة المسجد، مسجد النبي عليه الصلاة والسلام، ولم يحج، هذا كله لا بأس به؛ لأن هذا عمل منفصل، وهذا عملٌ منفصل، لكن كثير من الحجاج يختار أن يزور مسجد النبي عليه الصلاة والسلام، مع الحج؛ لأنه ربما لا يتهيأ له إلا هذه السفر، فيجمع فيها بين الخيرين، حج بيت الله الحرام، وزيارة مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام، لكن يجب أن لا يعتقد الحاج أن الزيارة للمسجد النبي عليه الصلاة والسلام، جزءٌ من أعمال الحج، أعمال الحج مثلما رأينا تمت بطواف الوداع، ما بعد ذلك من أعمال كلها أعمال منفصلة عن الحج، بما في ذلك الزيارة لمسجد الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، وقد جاء في فضل الصلاة في هذا المسجد، مسجد النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، جاء في فضله أحاديث كثيرة، كلها فيها أن الصلاة في مسجده عليه الصلاة والسلام خيرٌ من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام؛ لأن المسجد الحرام -كما سيأتي- يفضل الصلاة في المسجد النبوي بمائة مرة، فإذا كان السجد النبوي بألف، فالمسجد الحرام بمائة ألف صلاة، وقوله في الحديث: «صلاةٌ في مسجدي هذا»، يتناول الفرض والنفل، ليس خاصًا بالفريضة، يتناول الفرض والنفل، فالصلاة في مسجده عليه الصلاة والسلام فرضًا ونفلًا خيرًا من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، ومع أن النافلة في مسجده عليه الصلاة والسلام بألف، كما يدل عليه عموم الحديث، إلا أن الصلاة في البيت أفضل، كما قال عليه الصلاة والسلام: «صلاة الرجل في بيته أفضل إلا المكتوبة»، ولهذا من صلى مثلًا العشاء ثم بعد العشاء وهو في المسجد النبوي صلى ركعتين الراتبة بعد العشاء، هذه بكم؟ بألف، هذه بألف؛ لأنه عرفنا أن الصلاة في المسجد النبوي فرضًا ونفلًا بألف، فالنافلة التي بعد العشاء، لو صلَّاها في المسجد النبوي، فهي بألف، ولو صلّاها في البيت، فهي أفضل لعموم قوله عليه الصلاة والسلام: «صلاة الرجل في بيته أفضل إلا المكتوبة».

أورد رحمه الله أربعة أحاديث، كلها مشتملة على هذا الفضل، أن الصلاة في مسجده عليه الصلاة والسلام خيرٌ من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام، أورد حديث أبي هريرة، وحديث ابن عمر، وحديث عبد الله بن الزبير، وحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهم، وعن الصحابة أجمعين.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[**فإذا وصل الزائر إلى المسجد، استحب له أن يقدم رجله اليمنى عند دخوله، ويقول: «بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم، اللهم افتح لي أبواب رحمتك»، كما يقول ذلك عند دخول سائر المساجد، وليس لدخول مسجده صلى الله عليه وسلم ذكر مخصوص**].

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

إذا وصل الزائر إلى المسجد، مسجد النبي عليه الصلاة والسلام يقدم رجله اليمنى، وتقديم الرجل اليمنى سنةٌ مستحبة عند دخول كل مسجد، إذا أراد أن يدخل يقدم رجله اليمنى، وإذا أراد أن يخرج يقدم رجله اليسرى، ويقول عن الدخول: «بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، أعوذ بالله العظيم، وبوجه الكريم، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم، اللهم افتح لي أبواب رحمتك»، وهذا الذي ذكره رحمه الله هو من مجموع أحاديث وردت في هذا الباب.

وسبق أن أورد هذا في أوائل الكتاب، عند الدخول في المسجد الحرام، ونبّه هناك أن الدخول إلى المسجد الحرام ليس له ذكرٌ يخصه، وهنا أيضًا الدخول لمسجد النبي عليه الصلاة والسلام، ليس له ذكرُ يخصه، بعض العوام معهم كتيبات خُصص فيها شيءٌ يقال عند دخول المسجد النبوي، وشيءٌ يُقال عند دخول المسجد الحرام، وهذا لا أصل له، لا أصل له في المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة الكرام، وإنما هو من الأشياء التي تكلفها بعض المتكلفين ما أنزل الله بها من سلطان، ولهذا ينبغي على المسلم أن يقول هذا الذي أشار إليه الشيخ، سواءً عند دخوله المسجد الحرام أو المسجد النبوي، أو أي مسجد من المساجد، يقول: «بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، أعوذ بالله العظيم، وبوجه الكريم، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم، اللهم افتح في أبواب رحمتك».

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[**ثم يصلي ركعتين فيدعو الله فيهما بما أحب من خيري الدنيا والآخرة، وإن صلاهما في الروضة الشريفة فهو أفضل، لقوله صلى الله عليه وسلم: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة»**].

قَالَ الشَّارِحُ وفَّقَهُ اللهُ:

ثم إذا وصل المسجد، ودخل يُسن له أن يُصلي ركعتين، والركعتان هما تحية المسجد، وقد جاء في الحديث، عن نبينا عليه الصلاة والسلام، أنه قال: «إذا دخل أحدكم المسجد، فلا يجلس حتى يصلي ركعتين».

الحاصل إذا وصل إلى المسجد، يصلي ركعتين، بهذا يكون حقق المعنى الذي تقدم في الحديث: «لا يُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد»، ومعلومٌ أن شد الرحل للمسجد النبوي، من أجل الصلاة، فإذا وصل يبدأ بهذا العمل، أول ما يبدأ به يصلي، إن كان وافق عند الدخول فريضةً قائمة دخل فيها، وإن لم يُوافق فريضة صلى تحية المسجد، قال الشيخ: ويدعو فيها في الركعتين، بما أحب من خيري الدنيا والآخرة، إن تيسر له أن يصلي الركعتين في الروضة الشريفة، فهذا أفضل؛ لأنه ورد فيها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة»، ولكن مع الأعداد الكبيرة، والوفود الكثيرة التي تأتي في مثل هذه الأيام، ربما الجميع لا يتيسر له، فمن تيسر له ذلك، فهو أفضل، وإن لم يتيسر صلى في هذا المسجد، وأيضًا يعتني بالمواظبة على الصلوات الخمس في مسجد النبي عليه الصلاة والسلام، ويعتني أيضًا بالرباط، الذي هو انتظار الصلاة بعد الصلاة، فإن هذا فيه فضل عظيم؛ لأن الرجل لا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة، في صلاة، وإذا كان في المسجد النبوي صلاته بألف، فإذا كان ينتظر الصلاة، فهو في صلاة، والصلاة في المسجد النبوي بألف، فيلحظ هذا المعنى، ويحرص على الرباط؛ لأن الرباط مضعَّف، لأنك في الرباط الذي هو انتظار الصلاة بعد الصلاة، لا تزال في صلاة ما دمت منتظرًا الصلاة، والصلاة في المسجد بألف، فإذًا هذا الانتظار الثواب فيه مضعّف، فيحرص عليه الزائل ليغنم أجورًا عظيمة، وثوابًا جزيلًا.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[**ثم بعد الصلاة يزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقبري صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فيقف تجاه قبر النبي صلى الله عليه وسلم بأدب وخفض صوت ثم يسلم عليه، عليه الصلاة**

والسلام قائلا: «السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته»؛ لما في سنن أبي داود بإسناد حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام»، وإن قال الزائر في سلامه: «السلام عليك يا نبي الله، السلام عليك يا خيرة الله من خلقه، السلام عليك يا سيد المرسلين وإمام المتقين، أشهد أنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت في الله حق جهاده»، فلا بأس بذلك؛ لأن هذا كله من أوصافه صلى الله عليه وسلم ويصلي عليه، عليه الصلاة والسلام ويدعو له لما قد تقرر في الشريعة من شرعية الجمع بين الصلاة والسلام عليه عملا بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

ثم يسلم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ويدعو لهما ويترضى عنهما.

وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا سلم على الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبيه لا يزيد غالبا على قوله: " السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه " ثم ينصرف].

قَالَ الشَّارِحُ وفَّقَهُ اللهُ:

ثم ذكر الشيخ رحمه الله تعالى صفة الزيارة لقبر النبي صلى الكريم عليه الصلاة والسلام، عرفنا أن الزائر أولًا يقصد بالمجيء إلى المدينة، زيارة المسجد النبوي، مسجد النبي عليه الصلاة والسلام، ثم أول ما يبدأ به إذا وصل الصلاة، بعد ذلك يُشرع له أن يزور قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وقبر صاحبيه، الزيارة الشرعية، وسيأتي عن الشيخ بيان أن زيارة القبور على نوعين: شرعية، وبدعية، والشرعية: هي القائمة على السنة، على المأثور عن نبينا صلى الله عليه وسلم، والبدعية: هي القائمة على ما أحدثه الناس، في تفاصيل كثيرة أحدثوها في زيارة القبور، لا أصل لها في دين الله سبحانه وتعالى، وقد تقدم معنا قول النبي عل يه الصلاة والسلام: «من عمِلَ عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»، أي: مردودٌ على صاحبه غير مقبولٌ منه، فيزور قبر النبي عليه الصلاة والسلام، وقبري صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

صفة الزيارة: أن يقف كما بيَّن الشيخ رحمه الله تجاه القبر، أي: مقابل القبر، بحيث يكون القبر أمامه والقبلة خلفه، هذا هو الموطن الصحيح للزيارة، أن يقف ويكون القبر أمامه والقبلة خلفه، بأدبٍ وخفض صوت، ما يرفع الصوت؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام محترم حيًا وميتًا، والله عز وجل قال:

﴿ لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ [الحجرات:٢]، فنهى الله سبحانه وتعالى عن ذلك، فيكون بخفض صوت، وبأدب ويُلقي السلام، أفضل ما يكون من إلقاء السلام، ما أشار إليه الشيخ رحمه الله تعالى من فعل عبد الله بن عمر الصحابي الجليل رضي الله عنه وأرضاه، كان يقف ويقول: "السلام عليكم يا رسول الله، السلام عليكم يا أبا بكر، السلام عليكم يا أبتاه"، وينصرف، هذا أفضل ما يُفعل، وإذا فعله المسلم، كان له بفعله له إمام، والإمام من هو؟ ابن عمر، من خيرة أصحاب النبي الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه، فيقف أمام القبر، والقبلة خلفه، ويقول: "السلام عليكم يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا عمر"، وينصرف، هذا أفضل ما يُفعل ويكون بذلك متأسيًا بهذا الصحابي الجليل، رضي الله عنه وأرضاه.

قال الشيخ: فيقول: «السلام عليكم يا رسول الله ورحمة الله وبركاته»، قال: لما في سنن أبي داوود بسندٍ حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من أحدٍ يُسلِّم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام»، قال: ما من أحدٍ يُسلِّم علي، والشيخ قال: أن تقول: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، لماذا؟ لأن هذا أفضل صيغ السلام، وفي الحديث قال: «ما من أحدٍ يُسلِّم علي»، اختار الشيخ أفضل صيغ السلام، أن تقول: «السلام عليكم يا رسول الله ورحمة الله وبركاته»، هذا الأكمل، لكن إن قلت: السلام عليك يا رسول الله، تحقق المقصود، وهذا الذي كما أ شرت كان يقتصر عليه من؟ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

قال: وإن قال الزائر في سلامه: السلام عليك يا نبي الله، السلام عليكم يا خيرة الله من خلقه، السلام عليك يا سيد المرسلين، وإمام المتقين، أشهد أنك قد بلَّغت الرسالة، وأدَّيت الأمانة، ونصحت الأمة، وجاهدت في الله حق جهاده، فلا بأس بذلك، وذكر تعليلًا، قال: لأن هذا كله من أوصافه، يعني ما زاد المسلم إلا أن ذكر أوصافًا صحيحة لا غلو فيها للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، يقول: لا بأس بذلك، لكن كما قدَّمت الاقتصار على فعل ابن عمر هو الأفضل، أن تقول: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا عمر، ثم تنصرف.

قال: ويصلي عليه صلى الله عليه وسلم، ويدعو له، لما تقرر في الشريعة من شرعية الجمع بين الصلاة والسلام، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ

وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦]، ثم يُسلم على أبي بكرٍ وعمر رضي الله عنها، ويدعو لهما ويترضى عنهما، وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا سلَّم على الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبيه، لا يزيد أن يقول: "السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه، ثم ينصرف"، وهذا المأثور عن ابن عمر، لو أن عموم الزائرين فعلوه، لتحقق فيه خير كثير عظيم، أولًا: موافقة هذا الصحابي، وثانيًا: إعطاء فُرَص لأعداء كبيرة، يتمكنون من هذا السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى صاحبيه؛ لأن بعض الناس إذا تمكن من الدخول، وقف طويلًا، والوقوف الطويل والمكث الطويل ليس مطلوب، المقصود السلام، والسلام يتحقق بهذه الصيغة التي فعل ابن عمر، ولهذا من الخير للزائر أن يقتصر على الذي فعله ابن عمر رضي الله عنهما، موافقةً لهذا الصحابي الجليل من جهة، وأيضًا تخفيفًا وإعطاءً لفرصة، الفرصة لأكبر عدد من الزائرين أن يتحقق لهم هذا الشرف، الذي هو زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وقبر صاحبيه رضي الله عنهما، وأرضاهما، وعن الصحابة أجمعين.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[**وهذه الزيارة إنما تشرع في حق الرجال خاصة، أما النساء فليس لهن زيارة شيء من القبور، كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه لعن زوَّارات القبور من النساء والمتخذين عليها المساجد والسرج**].

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

نعم الزيارة، زيارة القبور، سواءً قبر النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه، أو عموم القبور خاصة بالرجال، على الصحيح من قولي أهل العلم، أنها خاصة بالرجال، ومن أهل العلم من يقول: إنها مباحة، ومنهم من يقول: إنها محرمة، والذي يقول إنها محرمة، يستدل بحديث فيه لعن، «لعنَ الله زوَّارات»، واللعن أمر ليس بالهيِّن، فلو تركت المرأة أمرًا مُباحًا على قول، لأمرٍ محرم على قول تفاديًا للعن ورد في حديثٍ ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو خيرٌ لها، وأبرأ لذمتها، يعني القول الآخر يقول مباحة الزيارة، جائزة المرأة، لكن القول الراجح في المسألة أنها ممنوعة وفيها لعن، قال عليه الصلاة والسلام: «لعن الله زوَّارات القبور»، ومما ذُكِر في علة النهي، نهي المرأة عن الزيارة؛ لأن المرأة ضعيفة

سريعة الجزع وقليلة الاحتمال، ربما حصل منها ما لا يُحمد في القبور، من بكاء أو نياحة، ولهذا خُصِّت المرأة بالذكر في الحديث، لما قال: «والنائحة إذا لم تتب، أُقيمت يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب»، الحكم يتناول النائح أيضًا، لكن لماذا قال: النائحة؛ لأن هذا غالب في النساء، لضعف النساء، غالب في النساء لضعفن، ولعله لهذا جاء النهي، نهي النساء عن زيارة القبور.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[**وأما قصد المدينة للصلاة في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، والدعاء فيه، ونحو ذلك، مما يشرع في سائر المساجد، فهو مشروع في حق الجميع لما تقدم من الأحاديث في ذلك**].

قَالَ الشَّارِحُ وفّقه اللَّهُ:

يقصد الشيخ أن هذا يشمل المرأة في ذلك، يقصد الشيخ أن هذا يشمل المرأة، يعني الذي تُنهى عنه المرأة، هو زيارة القبور، لكن قصد المدينة للصلاة في المسجد، مسجد النبي عليه الصلاة والسلام والدعاء فيه، ونحو ذلك من الأعمال التي تُشرع في المساجد، هذا يشمل الجميع، الرجال والنساء، ولا تُنهى المرأة من ذلك ولا تُمنع.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

[**ويُسن للزائر أن يصلي الصلوات الخمس في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن يكثر فيه من الذكر والدعاء وصلاة النافلة اغتناما؛ لما في ذلك من الأجر الجزيل**].

قَالَ الشَّارِحُ وفّقه اللَّهُ:

الزائر الذي أكرمه الله عز وجل بالمجيء إلى المدينة، وفرصته فيها محدودة، أيام قلائل، ينبغي أن يحرص أن تكون هذه الأيام القلائل كلها يصلي الصلوات الخمس في المسجد النبوي، مسجد النبي عليه الصلاة والسلام، وإذا تيسر له انتظار الصلاة بعد الصلاة، ولو في بعض الصلوات، مثل من المغرب إلى العشاء، أو من يتيسر له من العصر إلى العشاء، فهذا خير عظيم جدًا، وإذا صلى الفجر، يبقى في المسجد حتى يصلي الإشراق، نلاحظ الآن عدد من الحجَّاج مجرد ما يُسلم من صلاة الفجر يقوم سريعًا، نعم بعضهم قد يكون مضطرًا، محتاجًا للخروج، لكن كثيرًا منهم ما عنده ضرورة، وفرصته في المدينة محدودة، فينبغي له أن يحرص على الصلوات الخمس في مسجد النبي عليه الصلاة والسلام،

يحرص على انتظار الصلاة بعد الصلاة، حتى يرجع من المدينة وقد حصَّل رصيدًا عظيمًا كبيرًا من الحسنات والأجور المضاعفة؛ لأنه كما تقدم معنا، الصلاة في مسجده عليه الصلاة والسلام بألف صلاة، بعدين إذا رجع إلى بلده، الصلاة التي فيه حيه، أو سبعة عشرين درجة، أما هنا بألف، وهذه فرصة عظيمة، يعني الأيام القلائل التي تكون في المدينة، يحرص أن تكون الصلوات الخمس كلها في مسجد النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، ويصلي ما تيسير له من النوافل، مثل: صلاة الضحى، وغيرها من الصلوات، وفيما يتعلق بالراتبة، أشير إلى مسألة ذهب إليها بعض مشايخنا، ومنهم الإمام الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى، وهي أن المسافر إذا أتم بالمقيم، فإنه يُتِم، الشيخ ابن باز وبعض أهل العلم يرى أنه إذا أَتَمَّ بالمقيم، وأتم صلاته يصلي النوافل، يصلي الرواتب؛ لأنه أتم صلاته، اتَمَّ ب...، ولهذا يقول ابن عمر رضي الله عنهما: "لو كنت مسبحًا، لأتممت"، يعني: متنفلًا بعد الصلاة لأتممت، أتممت الفريضة، لكن المسافر إذا صلى خلف المقيم ماذا فعل؟ أَتَمَّ الفريضة، صلَّاها تامة، ولهذا يذهب بعض مشايخنا ومنهم الشيخ ابن باز رحمه الله أنه يُصلي النافلة ما دام أنه أتمها خلف متم، فيصلي الرواتب، فعلى هذا القول لو صلى الرواتب، وصلى أيضًا الضحى، وصلى ما تيسر له من الصلاة، يخرج بغنيمة عظيمة وربحٍ كبير، مدة بقائه في المدينة.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[ويستحب أن يكثر من صلاة النافلة في الروضة الشريفة؛ لما سبق من الحديث الصحيح في فضلها وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة».

أما صلاة الفريضة فينبغي للزائر وغيره أن يتقدم إليها ويحافظ على الصف الأول بما استطاع، وإن كان في الزيادة القِبلية لما جاء في الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم من الحث والترغيب في الصف الأول، مثل قوله صلى الله عليه وسلم: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا»، متفق عليه.

ومثل قوله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «تقدموا فأتموا بي وليأتم بكم من بعدكم، ولا يزال الرجل يتأخر عن الصلاة حتى يؤخره الله»، أخرجه مسلم.

وأخرج أبو داود عن عائشة رضي الله عنها بسند حسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يزال الرجل يتأخر عن الصف المقدم حتى يؤخره الله في النار».

وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه: «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها»، قالوا يا رسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: «يتمون الصفوف الأول ويتراصون في الصف»، رواه مسلم.

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة وهي تعم مسجده صلى الله عليه وسلم وغيره قبل الزيادة وبعدها، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يحث أصحابه على ميامن الصفوف، ومعلوم أن يمين الصف في مسجده الأول خارج عن الروضة، فعُلِم بذلك أن العناية بالصفوف الأول وميامن الصفوف مقدمة على العناية بالروضة الشريفة، وأن المحافظة عليهما أولى من المحافظة على الصلاة في الروضة، وهذا بيِّن واضح لمن تأمل الأحاديث الواردة في هذا الباب والله الموفق].

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

يقول الشيخ رحمه الله تعالى: يُستحب للزائر أن يُكثر من الصلاة في الروضة الشريفة، وذلك للفضل العظيم الذي يخصها، كما في الحديث، قال عليه الصلاة والسلام: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة»، لكن إن لم يتيسر، والغالب أنه لا يتيسر للزائر أن يُكثر من الصلاة في الروضة؛ لأن الزوَّار أعدادهم لا يُحصيها إلا الله، والمكان لا يستوعب إلا عددًا قليلًا، ولهذا يُرتب الدخول، فلا يتيسر للزائر ربما إلا مرةً واحدة، وإن زادت مرتين أو نحو ذلك، لكن إن لم يتيسر له هذا في الروضة يُكثر من النافلة في المسجد النبوي، فإن الصلاة فيه كما تقدم فرضها ونفلها بألف صلاة، والزيادة لها حكم المزيد، الحكم لا يختص بالمسجد الذي كان على عهده، عليه الصلاة والسلام، بل كل زيادة وجدت وأصبحت من المسجد، فيشملها قول النبي عليه الصلاة والسلام: «صلاةٌ في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»؛ لأن الزيادة لها حكم المزيد.

قال: أما صلاة الفريضة فينبغي للزائر وغيره أن يتقدم إليها، ويُحافظ على الصف الأول مهما استطاع؛ لأنه إلى وقتٍ قريب كان الصف الأول متقدم على الروضة، فيُنبه الشيخ أن الصلاة في الصف الأول، يعني الفريضة أفضل من الصلاة في الروضة، أما الآن أصبح الصف الأول داخل الروضة، فإذا

تيسر له الصف الأول وفي الروضة، فهذا خيرٌ عظيم، لكن هذا أيضًا ما يتيسر إلا لقِلَّة من الناس، محدودية المكان.

قال: أما الصلاة صلاة الفريضة، فينبغي للزائر وغيره أن يتقدم إليها، ويُحافظ على الصف الأول مهما استطاع، وإن كان في الزيادة القِبلية، مثلما كان سابقًا، إلى وقتٍ قريب، كان في الزيادة القِبلية التي في القبلة يعني، من جهة القِبلة، لما جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم من الحث والترغيب في الصف الأول، ثم ساق جُملةً من الأحاديث في ذلك، وهذه الأحاديث ينبغي أن يستمع لها الحاج والزائر بإنصات حتى تكون سببًا ومعونةً له في مستقبل حياته، أن يحافظ على الصف الأول وأن يعتني به، حتى في بلده إذا رجع يكون من أهل الصف الأول، يحرص على أن يزود نفسه بهذه الأحاديث العظيمة، ويحرص على العمل بها، وهذه ثمرة أيضًا تكون عظيمة من ثمار حجه لبيت الله الحرام، أن يرجع بحالٍ أعظم من الحال التي كان عليها قبل الحج، فيرجع إلى بلده بعد الحج محافظًا على الصف الأول، قال عليه الصلاة والسلام: «لو يعلم الناس ما في النداء» أي: الأذان، «والصف الأول ثم يجدوا إلا أن يستهموا عليه، لاستهموا»، الأذان فضله عظيم، والمؤذنون أطول أعناقًا يوم القيامة، وجاء في فضل الأذان أحاديث كثيرة جدًا، فلو يعلم الناس ما في الأذان من فضل، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا، يعني: يعملوا قُرْعة بينهم، لأجل التنافس القوي، لفعلوا ذلك، ولو يعلمون أيضًا ما في الصف الأول من الفضل، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا، يعني لأقاموا قُرعة بينهم، هذا في تنافسهم على الصف الأول.

هنا في الحديث فائدة مهمة: وهي من الذي يُحافظ على الصف الأول؟

هو ذاك الرجل الذي عرف فضل الصف الأول، ووقعت هذه المعرفة موقعًا عظيمًا في قلبه، فهذا هو الذي يحافظ على الصف الأول، أما من لم يعرف، أو عرف ولم تقع المعرفة في قلبه، لم يكن لها وقع عظيم، هذا لا يكون من المحافظة على الصف الأول، الذي يحافظ على الصف الأول، هو الذي عرف فضل الصف الأول، ووقعت هذه المعرفة موقعها في قلبه، يعني كثير من الناس يسمع بعض الأحاديث، ووقت السماع يقول: والله ما شاء الله حديث عظيم، ويُعجبه، لكن ما يقع في قلبه موقعًا عظيمًا، ثم يذهب ولا يعمل به، وربما يسمعه ويُعجبه، ولا يعمل به ولا مرة واحدة؛ لأنه لم يقع في قلبه الوقع العظيم،

ولهذا ينبغي على العبد إذا أكرمه الله بسماع الحديث، في الفضائل عن الرسول عليه الصلاة والسلام، أن يحرص على تمكُّن الفائدة من قلبه، ويدعو الله سبحانه وتعالى أن يُعينه على العمل بها، هذه الفائدة نستفيدها من قول النبي عليه الصلاة والسلام: «لو يعلم الناس»، إذًا العلم له أثر عظيم في العمل، ولهذا قال: «لو يعلم الناس»، وهذا يُفيدنا أن معرفة فضائل الأعمال، هو أكبر عون للعبد على العمل، والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بتلك الأعمال.

قال: ومثل قوله صلى الله ليه وسلم لأصحابه: «تقدَّموا» أي: إلى الصفوف، «فأتَمُّوا بي، وليأتم بكم من بعدكم»، يعني: أحرصوا على التقدم والتبكير، والوصول إلى الصف الأول ما استطعت، الثاني، ما استطعت، الثالث، «وليأتَّم بكم من بعدكم»، حثَّهم على التقدم في أول الحديث، وفي آخره حذَّرهم من التأخُّر، قال: «ولا يزال الرجل يتأخر عن الصلاة حتى يؤخره الله»، هذه مصيبة الآن، يعني بعض الناس يسمع الأذان، يقول معي وقت، وينشغل في دنياه، ينشغل في مصالحه، ينشغل أحيانًا في أحاديث لا قيمة لها مع بعض رُفقته، أو ينشغل بشرب شاهي مثلًا، ثم يسمع الإقامة، بعضهم حتى بعد سماع الإقامة نفسه ضعيفة، يقول أدرك الركوع، أُدرك الركعة الثانية، ولهذا تجد بعض الناس عوّد نفسه دائمًا فائتة من الصلاة ركعة ركعتين، دائم، نادرًا يعني نفسه ما تعوَّدت أن تدخل مسجد مع الأذان، ولا تعوَّدت نفسه أن تُدرك تكبيرة الإحرام، ما تعوَّدت نفسه، ولا جعل هذا من همته في طاعته لربه سبحانه وتعالى، فيقول عليه الصلاة والسلام: «ولا يزال الرجل يتأخَّر عن الصلاة حتى يؤخره الله»، والمعنى نفسه كذلك جاء في حديث عائشة في سنن أبي داوود، قال عليه الصلاة والسلام: «لا يزال الرجل يتأخر عن الصف المقدَّم، حتى يؤخره الله في النار»، كيف يكون هذا؟ أولًا التفريط يتدرج الإنسان فيه، تجده مثلًا يتأخر عن الصف المقدَّم، ثم إلى الصفوف الأخيرة، ثم يتأخَّر عن الصلاة، فتفوته الركعة والركعتين، ثم يتمادى به التأخير حتى يترك الجماعة، وهكذا التدرج في الإنسان في جانب التفريط، ولهذا حث النبي عليه الصلاة والسلام على التقدم، تقدَّموا، ينبغي إذا سمع المرء الأذان أن يتقدم، وأن يُبادر وأن يُسارع، وأن يُسابق، حتى يكون من أهل التنافس في الخيرات، والمسارعة إلى الخيرات.

قال: وثبت عنه صلى الله عليه وسلم، أنه قال لأصحابه: «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟»، قالوا: يا رسول الله، وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: «يُتِمُّون الصفوف الأُوَل، ويتراصون

في الصف»، هذه صفة صفوف الملائكة، وهو يحث عليه الصلاة والسلام على الاقتداء بهم، طريقتهم، أي: يملؤون الصفوف الأُوَل، ويتراصون في الصف، فحث الأمة صلوات الله وسلامه عليه على ذلك، قال: والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وهي تعم مسجده صلى الله عليه وسلم، وغيره قبل الزيادة وبعدها، تعم المسجد وتشمل عموم المساجد، وتشمل أيضًا الصفوف الأُوَل في الزيادة في مسجد النبي الكريم عليه الصلاة والسلام.

الحاصل أن المرء ينبغي أن يكون عنده هِمَّة وحرص على التبكير للمساجد، ومن أعظم المعين على البكير للمساجد سماع الأذان، إذا أذَّن المؤذن لا تنشغل بحديثٍ، ولا علمٍ، ولا حتى قراءة قرآن، إذا كنت تقرأ القرآن أوقف القراءة واستمع للمؤذن، وإذا كنت تتحدث بمسائل من العلم، أوقف مسائل العلم واستمع للمؤذن، وإذا كنت تتحدث مع إخوانك في حديثٍ دنيوي، أوقف الحديث معهم واستمع للمؤذن، فإنك إذا سمعت المؤذن بدأت الدنيا تتساقط من قلبك، وقلبك أصبح مُقبلًا على الصلاة، فهذا أكبر المعين لك على التبكير للمساجد، أن تُحسن سماع الأذان، وهذا فيه فضل عظيم، في حديث عمر بن الخطّاب في صحيح مسلم، قال: «إذا قال المؤذن: الله أكبر الله أكبر، قال العبد: الله أكبر الله أكبر، قال: لا إله إلا الله، فقال: لا إله إلا الله، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال: أشهد أن محمدًا عبده ورسوله، قال: أشهد أن محمدًا عبده رسول الله، قال: أشهد أن محمدًا رسول الله، قال: حي على الصلاة، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، قال: حي على الفلاح، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، قال: الله أكبر الله أكبر، قال: الله أكبر الله أكبر، قال: لا إله إلا الله، قال: لا إله إلا الله، من قلبه دخل الجنة»، هذا في سماعك للمؤذن، وقولك مثلما يقول، هذا فيه دخول للجنة، ومن السبب في ذلك أن هذا الأذان هو الذي يُعينك على النهوض للصلاة، والتبكير لها، والخشوع فيها، إلى غير ذلك من المصالح العظيمة التي تترب على سماع الأذان.

قال: وقد صحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يحث أصحابه على ما ميامن الصفوف.

قد جاء في سنن ابن ماجة وغيره، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف»، ميامن الصفوف، أي: ما كان على يمين الإمام.

يقول الشيخ: ومعلومٌ أن يمين الصف في مسجده الأول، خارج الروضة، فعُلِمَ بذلك أن العناية بالصف الأول، وميامن الصفوف مقدّمة على العناية بالروضة الشريفة، وأن المحافظة عليهما، عليهما: الضمير يعود على الصف الأول، وعلى ميامن الصفوف، أولى من المحافظة على الصلاة في الروضة، وهذا بيِّنٌ واضح لمن تأمل الأحاديث الواردة في هذا الباب، والله الموفق.

وهذا ونسأل الله الكريم رب العرش العظيم، أن ينفعنا أجمعين بما علَّمنا، وأن يزيدنا علمًا، وتوفيقًا، وأن يُصلح لنا شأننا كله، وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيمًا، اللهم آتِ نفوسنا تقواها، زكِّها أنت من خير زكَّاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفة والغنى، اللهم أصلح لنا ديننا، الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، والموت راحةً لنا من كل شر، اللهم اغفر لنا ذنبنا كله، دقّه وجلَّه، أولَه وآخره، علانيته وسرّه، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم، وذريَّاتهم، ولمشايخنا، ولولاة أمرنا، وللمسلمين والمسلمات، اللهم آتِ نفوسنا تقواها، زكِّها أنت خير من زكَّاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إنا نسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد، ونسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك، ونسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك، ونسألك قلبًا سليمًا ولسانًا صادقًا، ونسألك من خير ما تعلم، ونعوذ بك من شر ما تعلم، ونستغفرك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب، اللهم إنا نسألك من الخير كله، عاجله وآجله، ما علمنا منه وما لم نعلم، ونعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعمل، اللهم إنا نسألك الجنة وما قرّب إليها من قولٍ أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرَّب إليها من قولٍ أو عمل، ونسألك من خير ما سألك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم، ونعوذ بك من شر ما عاذ منه عبدك ورسولك محمدٌ صلى الله عليه وسلم، وأن تجعل كل قضاءٍ قضيته لنا خيرًا، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم، وذرياتهم، ولمشايخنا، ولولاة أمرنا، وللمسلمين والمسلمات، اللهم آمِنَّا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا في من خافك وأتقاك، واتبع رضاك يا رب العالمين، اللهم وفِّق ولي أمرنا لهداك، واجعل عمله في رضاك، وسدده في أقواله وأعماله، اللهم ووفقه وولي عهده لما فيه خير البلاد والعباد يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال، اللهم فرج هم المهمومين من المسلمين، ونفِس كرب المكروبين، واقضِ الدين عن المدينين، واشفِ مرضانا ومرضى المسلمين، وارحم موتانا وموتى

المسلمين، اللهم أصلح ذات بيننا، وألف بين قلوبنا، واهدنا سُبَل السلام، وأخرجنا من الظلمات إلى النور، وأعذنا والمسلمين من الفتن، ما ظهر منها وما بطن، ربنا آتنا في الدنيا حسنةً، وفي الآخرة حسنةً، وقنا عذاب النار، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهوِّن به علينا مصائب الدنيا، اللهم متِّعنا بأسماعنا وأبصارنا، وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همّنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا، اللهم أصلح لنا أجمعين النية والذرية والعمل، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، اللهم صلِ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.